



تنصير العالم

الخطة الخمسية للبابا يوحنا بولس الثانى

دكتورة زينب عبد العزيز



عنوان الكتاب: تنصير العالم الخطة الخمسية للبابا يوحنا بولس الثانى
اسم المؤلف: د. زينب عبد العزيز
تاريخ النشر: مارس ١٩٩٨

رقم الإيداع: ١٩٧١ /١٩٩٨ .
الترقيم الدولى: I . S . B . N 977 - 14 - 0514 - 4

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ – ٣٣٠٢٨٩ / ٠١١ .
فاكس: ٣٣٠٢٩٦ / ٠١١ .
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقى – الفجالة – القاهرة .
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ – ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢ .
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ /٠٢ .
ص.ب: ٩٦ الفجالة
ادارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى – المهندسين – القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ – ٣٤٧٢٨٦٤ / ٠٢ .
فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ /٠٢ .
ص.ب: ٢٠ امبابة

تقديم

في هذا الكتيب الصغير - وهو صفحات من جهود كبيرة . . مخلصة ، ومتميزة - في هذا الميدان - للأستاذة الدكتورة زينب عبد العزيز - . . فيه إشارات إلى مخطط الفاتيكان والكاثوليكية - بقيادة البابا يوحنا بولس الثاني ،لتنصير العالم . . والمسلمين على وجه التحديد . .

وإذا كانت الحدود الدنيا - المفترضة - لقيم أى دين من الأديان ، هى التحلى «بالأخلاق» - كما تعارفت عليها عموم الديانات . . فغريب أن يتوسل أهل دين من الديانات بالوسائل اللاأخلاقية إلى الدين والتدين ، الذى هو - أو يجب أن يكون - جماع الأخلاق ! . .

إن النصرانية ، فى أصولها الأولى ، هى ديانة السلام المتصوف ، والتصوف المسالم . . ولذلك يتبدى الشذوذ ويتجسد فى موقف البابا عندما يحاول علاج «خطيئة علمانية غربية» بـ «خطيئة كاثوليكية» ، يضفى عليها ثياب الدين ! . .

ذلك أن الغرب الرأسمالى قد كبل شعوب وأمم ودول الجنوب بالديون - لونا جديدا من الاستعمار الذى أحكم قيود التبعية للغرب الاستعمارى . . وبدلا من أن ينطلق بابا الكاثوليكية من موقف أخلاقى ، فيدعو إلى تحرير الشعوب المستضعفة من رق ديون هذا الاستعمار الجديد ، إذا به يطلب «ثمن» إسقاط هذه الديون ، أعز ما تملك هذه الشعوب المستضعفة : دينها وتديّنها . . فيدعو إلى أن يكون «تنصير» هذه الشعوب هو ثمن إسقاط ما عليها من الديون ! . . مع أنها قد دفعت «للرأسمالية اللادينية» فوائد الديون - التى فاقت أصول تلك الديون - . . وإذا بالبابا يريد منها أن تدفع

«الدِّين والعقيدة» بدلا من «الدَّين المالى» . . وهنا ذروة «اللاأخلاقية الغربية» ، سواء عند المتدينين أو اللادينيين !! . .

* * *

ولا يحسبن أحد أن هذا هو موقف القطاع الكاثوليكى - فى النصرانية الغربية - وحده ، ودون سواه . . ذلك أن قطاعاتها الأخرى - البروتستانتية . . والأرثوذكسية - لا تقل فى عدائها للإسلام والمسلمين عن هذا الذى أشارت إليه الدكتورة زينب عبد العزيز من مواقف ومخططات بابا الفاتيكان . .

● فالأرثوذكسية الغربية قد آثرت - فى التعامل مع الإسلام والمسلمين - اختصار الطريق . . فشنت حرب الإبادة على مسلمى البوسنة والهرسك ، لتدفن الرجال فى قبور جماعية ، ولتغتصب النساء والفتيات . . ثم تذهب بأطفال المسلمين إلى ملاجئ وكنائس التنصير ! . .

صنعت ذلك على مشهد ومسمع من البروتستانت والكاثوليك . .

● أما البروتستانتية الغربية ، فإن مخططاتها ضد الإسلام وأمته وعالمه قد بلغت القمة فى البشاعة والذروة فى البعد عن الأخلاق . .

ويكفى أن نشير - مجرد إشارة - إلى معالم المخطط الذى رسموه فى مؤتمر «كولورادو» - الذى عقدوه فى أمريكا - بمدينة «جلين آيرى» فى ١٥ مايو سنة ١٩٧٨م لتنصير كل المسلمين ، واقتلاع الإسلام ، وطى صفحته من الوجود . .

فلقد قرروا فى هذا المؤتمر - من خلال الوثائق والأبحاث والمناقشات التى نشروها هم - أن يتم التنصير - لا بالوسائل القديمة التى تؤت ما أملوه من حصاد - وإنما باختراق الإسلام من

الداخل ، واختراق الثقافة الإسلامية ، وصب المضامين النصرانية في أوعيـة المصطلحات الإسلاميـة . . وأن يتم هذا الاختـراق - كما قالوا : «في صدق ودهاء»! . .

وإذا كان المقام لا يحتمل التفصيل لمعالم هذا المخطط التنصيرى الأخطر . . فإننا نكتفى - في هذا التقديم - بإيراد سطور من هذا المخطط ، بنفس ألفاظ وعبارات واضعيه . .

● لقد قالوا - فى نقد أساليبهم القديمة- :

«لا يمكننا بعد اليوم اعتماد الأساليب القديمة للتنصير ، فى مواجهة الإسلام الذى يتغير بسرعة ، وبصورة جوهرية ! . لقد كانت استراتيجية التنصير الأوروبية - الأمريكية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعقلية الاستعمارية . . وإن الغرض من هذا المؤتمر هو الإيمان بعدم جدوى وفعالية الطريقة التقليدية لتنصير المسلمين»!

● وكشفوا عن عمق عدائهم للإسلام عندما قالوا :

«إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تُناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية . . والنظام الإسلامى هو أكثر النظم الدينية المتناسقة . . على نحو يفوق قدرة البشر !» .

وأعلنوا العزم على تسخير كل الإمكانات لاختراق الإسلام من داخله . . فقالوا :

«ونحن بحاجة إلى مئات المراكز ، تؤسس حول العالم بواسطة النصارى ، للتركيز على الإسلام . . لفهمه . . ولتوصيل هذا الفهم إلى المنصرين من أجل اختراق الإسلام ، فى صدق ودهاء ؟!» . .

● ولم يمنعهم الحياء - ولا الأخلاقيات المفترضة فى رجال الدين - من إعلان مقاصدهم فى اختراق القرآن الكريم والثقافة الإسلامية ، «لغش» المسلمين حتى ينتصّروا ! . . فقالوا :

«إن هدفنا هو غرس روح المسيح وتعاليمه فى الفكر الإسلامى والحياة الإسلامية ! . . وبهذه الطريقة تصبح عملية التنصير مثل الخميرة التى تعمل داخل الكيان كله !! . .»

وإذا كان بابا الكاثوليكية يريد تنصير المسلمين لقاء ما عليهم من ديون ! . . فإن مخطط البروتستانتية يذهب على درب اللاأخلاقية إلى ما هو أبعد من ذلك . . فيخطط قساوسة التنصير البروتستانتى لإحداث الكوارث الطبيعية والحروب والمجاعات والمشكلات التى تخل بتوازن الشعوب والجماعات حتى تبيع دينها للمنصرين لقاء كسرة الخبز وجرعة الدوء !! . . أى والله ! . . لقد فكروا فى ذلك . . ودبروه . . وأعلنوه - باسم دين المسيح - فقالوا :

«لكى يكون هناك تحول إلى النصرانية ، فلابد من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس ، أفرادًا وجماعات ، خارج حالة التوازن التى اعتادوها !! . . وقد تأتى هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية ، كالفقر والمرض والكوارث والحروب . وقد تكون معنوية ، كالتفرقة العنصرية ، أو الوضع الاجتماعى المتدنى ! . . وفى غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة ، فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية !! . . إن تقديم العون لذوى الحاجة قد أصبح أمرا مهما فى عملية التنصير ؟! . . وإن إحدى معجزات عصرنا ، أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التى كانت تناهض العمل التنصيرى ، فأصبحت أكثر تقبلا للنصارى ؟! . .»[1] .

* * *

(١) انظر فى تفصيل هذا المخطط التنصيرى كتابنا (الغارة الجديدة على الإسلام) طبعة دار الرشاد . القاهرة .

هكذا تبدل الدين المسيحى - لدى الكنائس الغربية - من قمة الأخلاق إلى ذروة اللاأخلاق . . وبعد أن كانت معجزات المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - هى تعظيم روحانية الإنسان حتى يدخل مملكة السماء ، غدت مآسى وكوارث الحروب والمجاعات والديون «إحدى معجزات» عصر النصرانية الغربية ، لما تحدثه من اختلال فى توازن الأفراد والجماعات ، فيصبحون أكثر انقيادا لمخططات قساوسة - وشياطين - التنصير !! . .

إذن . . فليس الفاتيكان وحده . . وإنما هو الغرب :

- الغرب باستعماره الجديد . .

- وبمؤسساته المالية التى تفرض الرق الاقتصادى الجديد على الأمم والشعوب والحضارات . .

- وبكنائسه - الكاثوليكية . . والبروتستانتية . . والأرثوذكسية - تلك التى لم تقف - فقط - عند خيانة قضايانا العادلة - وإنما خانت حتى نصرانيتها . . بل وخانت القيم الأخلاقية التى تعارف عليها العقلاء . . مطلق العقلاء ! . .

ولذلك . . فإن هذا الكتيب ، الذى نقدمه للأستاذة الدكتورة زينب عبد العزيز - والذى هو صفحات من جهودها الكبيرة والمشكورة فى هذا الميدان - هو إضاءة للوعى الإسلامى ، كى نبصر ذلك الذى يدبر لنا ، ليسلبنا أعظم نعم الله علينا . . نعمة الإسلام .

وصدق الله العظيم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الرابع عشر من شهر نوفمبر (١٩٩٤ م) أعلن البابا يوحنا بولس الثانى ، فى روما : خطابه الرسولى الجديد . والخطاب يدور حول الإعداد للاحتفالات الخاصة ببداية الألفية الثالثة لمولد المسيح ، وهو بعنوان « **مع اقتراب الألفية الثالثة** » وهو صادر عن مطبوعات الفاتيكان . والتى قالت عنه جريدة « لوفيجارو » الفرنسية ، الصادرة فى (١٥ / ١١ / ١٩٩٤) : « **إنه بمثابة بيان للسياسة التى يجب أن تتبعها الكنيسة** » ! و « **البيان** » هنا يأخذ معنى المنشور السياسى .

وموضوع بداية الألفية الثالثة من الموضوعات العزيزة على البابا . إذ إنه قد أثاره لأول مرة فى السابع عشر من شهر أكتوبر عام (١٩٧٨م) ، فى كنيسة « سكستين » بالفاتيكان ، فى الخطاب الذى ألقاه بعد تعيينه بسويعات فى منصب البابوية . وقد عاد إليه ثانية فى الرابع من شهر مارس عام (١٩٧٩ م) ، فى أول صفحة من خطابه الرسولى حول « **المسيح فادى البشر** » .

ونجد نفس الفكرة فى خطاب رسولى آخر حول « **رسالة الكنيسة** » ، الذى أصدره فى السابع من شهر ديسمبر عام (١٩٩٠م) ، والذى كان بمثابة « النص المرجعى » لآلاف الكاثوليك الفرنسيين الذين اجتمعوا فى مدينة « لورد » (من ٤ إلى ٩ / ١١ / ١٩٩٤ م) فى لقاء بعنوان « تبشير الكوكب » .

ومن هنا ندرك كيف أن موضوع الألفية هذا « **مرتبط بضرورة عملية جديدة لتنصير العالم** » على حد قول « چوزيف فاندريس » ، مراسل جريدة لوفيجارو فى الفاتيكان (١١ / ١١ / ١٩٩٤ م) والذى يواصل قائلاً : « إن عام ألفين سيصبح إذن : « **عام الخلاص** » وعام استقبال ذلك الإنجيل الذى عرضه يسوع فى المعبد اليهودى بمدينة الناصرة ، كرسالة تحرير لكافة شعوب العالم » .

لذلك كان البابا قد دعى كافة الكرادلة إلى اجتماع عام فى يومى (١٣ ، ١٤ يونيو ١٩٩٤ م) لمناقشة الإعدادات الخاصة بذلك « **العام المقدس** » . واقترح المجمع الكنسى أن يكون الموضوع الرئيسى للاحتفال هو : « **يسوع المسيح، محور العالم وسيد تاريخه** » ، وأن تستعد كافة الكنائس المحلية لهذا الحدث طوال فترة الأعوام الخمسة القادمة .

وتكمن أهمية صدور هذا الخطاب الرسولى فى هذا التوقيت من شهر نوفمبر بالذات ، وبعد شهر واحد فقط من صدور آخر كتاب للبابا وهو بعنوان « **ادخلوا فى الرجاء** » فى أن نيافته يرى ضرورة أن يستعد كافة الكاثوليك لعام ألفين ، بأن يضعوا أنفسهم فى الجو الطقسى الخاص بهم والمسمى « **مقدمات أعياد الميلاد** » والتى تبدأ قبل الخامس والعشرين من شهر ديسمبر بأربعة أسابيع .

والخطاب فى مجمله عبارة عن نداء لكافة الديانات المسيحية ، وغير المسيحية لتشارك فى هذا الاحتفال ، إلى جانب كونه «**مجاهرة بالعقيدة الكاثوليكية لتنصير الكافة، وفقاً لها** » ، على حد قول إيلى مارشال فى نفس جريدة لوفيجارو . وقد استقى الكاتب

عبارة «الجاهرة » هذه من نفس الشكل الاحتفالى الذى خطط له البابا فى إطار تمجيدى للثالوث ينتهى « **بجمع عالمي للقربان** » !!

والخطاب يقع فى سبعين صفحة ، وهو موجه إلى كافة رجال الإكليروس بمختلف رتبهم ، وإلى كافة الأتباع المدنيين بمناسبة الإعداد ليوبيل عام ألفين .

ويتكون هذا الخطاب الرسولى من خمسة أقسام ، تتضمن تسعة وخمسين بندًا ، عناوينها كالآتى :

١ - « يسوع المسيح هو نفسه بالأمس واليوم » .

٢ - يوبيل عام ألفين .

٣ - الإعداد لليوبيل الكبير .

٤ - الإعداد الفورى :

(ا) المرحلة الأولى .

(ب) المرحلة الثانية :

العام الأول : يسوع المسيح .

العام الثانى : الروح القدس .

العام الثالث : الله - الآب .

(جـ) بغية الاحتفال .

٥ - « يسوع المسيح هو نفسه . . إلى الأبد » .

* * *

- ١ -

ويتضمن القسم الأول ثمانية بنود ، يوضح خلالها البابا : سر الثالوث ومساواة يسوع للآب ، ومساواة الروح القدس ليسوع ، وكيف أن « **المسيح فادى العالم** » هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر (بند ٤) .

لأن « **المسيح هو الله حقاً، وهو إنسان حقاً، وهو سيد الكون و سيد التاريخ أيضاً، وهو البداية وهو النهاية** » (بند ٥) .

ذلك لأن السيد المسيح لا يتحدث إلى البشر باسم الله ، مثال الأنبياء ، وإنما هو الله نفسه ؛ الذى يتحدث فى كلمته الخالدة بعد أن تجسدت . وهنا نلمس النقطة الأساسية التى تفرق المسيحية عن الديانات الأخرى ؛ التى لاح فيها منذ البداية بحث الإنسان عن الله . أما فى المسيحية ، فإن نقطة الانطلاق هى تجسد الكلمة . **وهنا لا يذهب الإنسان بحثاً عن الله، وإنما الله هو الذى أتى شخصياً، للتحدث عن نفسه إلى الإنسان ليوضح له الطريق الذى سيسمح له بالوصول إليه** .

وبهذه الصورة ، فإن «المسيح هو تحقيق لتطلع كافة ديانات العالم ، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى» (بند ٦) .

«وإن ديانة التجسد هى ديانة فداء العالم بفضل تضحية يسوع التى تتضمن الانتصار على الشر، وعلى الخطيئة، وعلى الموت نفسه» (بند ٧) .

* * *

- ٢ -

أما فى القسم الثانى ، الخاص بيوبيل عام ألفين ويتضمن ثمانية بنود أيضًا ، فيحاول البابا الزج بأكثر من نقطة لها مغزاها : فمن ناحية ، يقوم بتعريف عبارة اليوبيل والتفرقة بين احتفال اليهود لها ، وبين المعنى الجديد الذى يضفيه عليها ؛ وفى نفس الوقت يقوم بعملية تمهيد لاهوتية لمشروعه **بإسقاط ديون العالم الثالث مقابل تنصيره** ، ومحاولة البرهنة ضمنًا وبلباقة تنساب وكأنها ت لقائية ، على أن العهد الجديد يتضمن تشريعًا ! وهنا يقول نيافته : «**بخلاف تحرير العبيد فى السنة السبتية، فإن الشرع كان ينص على إسقاط كافة الديون وفقًا لمعايير محددة**» (بند ١٢) .

« **وفى الإطار القانونى ارتسم بالتدريج مذهبًا اجتماعيًا، تطور فيما بعد بوضوح أكثر ابتداء من العهد الجديد** » (بند ١٣) .

ومن هنا يخرج البابا بأهمية هذه الألفية « **لا بالنسبة للمسيحيين فحسب، وإنما بشكل غير مباشر للإنسانية بأسرها، نظرًا للدور القيادى الذى مارسته المسيحية خلال هاتين الألفيتين.**

ومما له مغزاه، أن التقويم يتم فى كافة أنحاء العالم، اعتبارًا من مجئ المسيح فى العالم: وهذا المجئ هو أيضًا مركز التقويم الأكثر استخدامًا اليوم » (بند ١٥) .

ثم ينهى هذا القسم برجاء توحيد كافة الكنائس من أجل الإعداد لهذا اليوبيل وتحقيق بنوده الاحتفالية ، معتبرًا سيادة التقويم الميلادى علامة إلهية على وجوب سيادة المسيحية وفرضها على العالم ، متناسيًا أن الاستعمار هو الذى فرضه قهرًا وتغريبًا !

* * *

ويدور القسم الثالث ، الخاص بالإعداد لليوبيل الكبير ويقع فى اثنى عشر بندًا ، بإضفاء شرعية إلهية على هذا الاحتفال ، والتوسع فى شرح وتبرير المجمع الفاتيكانى الثانى ، مع إضفاء نفس الشرعية الإلهية عليه « **لأنه متمركز حول سر المسيح، ومنفتح على العالم** » (بند ١٨) .

وهنا يوضح البابا : « **إن كل أحداث القرن العشرين، وكل ما وقع طواله، يوضح - أكثر من أى وقت مضى - أن العالم بحاجة إلى التطهر، وأنه بحاجة إلى الاهتداء إلى المسيحية** » (بند ١٨) .

أى أنه يربط بين الاحتفال بهذا اليوبيل وبين قرارات المجمع الفاتيكانى الثانى بشكل لا انفصام فيه ، أو كأن هذا اليوبيل يأتى تتويجًا لقرارات ذلك المجمع « **الذى تمخض عن تكوين العديد من المجامع الكنسية العامة، والقارية، والمحلية، والقومية، والأبرشية، وكلها تدور حول الموضوع الأساسى للتبشير، بل والتبشير الجديد الذى تم إرساء قواعده فى الخطاب الرسولى للبابا بولس السادس عام (١٩٧٥م)، والمعنون (تبشير الإنجيل) الذى أصدره عقب الجمعية الثالثة العامة للمجمع الكنسى للأساقفة** » (بند ٢١) وهو المجمع الخاص بتنصير العالم .

ثم يتناول البابا يوحنا بولس الثانى ، جهود البابوية فى روما باقتضاب ، وكيف أنهم عملوا جميعًا ، وعلى التوالى ، للإعداد للاحتفال بهذا اليوبيل بصور مختلفة متناسقة ، وكيف أن البابا بيوس الثانى عشر (١٩٣٩ - ١٩٥٨ م) قد « **أعطى توجيهات**

شديدة الوضوح حتى بالنسبة لإقامة النظام العالمى الجديد بعد إسقاط الأنسقة السياسية السابقة » (بند ٢٢) .

وفى البند (٢٧) يقول البابا : « **من الصعب ألا نلحظ أن (العام المريمى) قد سبق عن قرب أحداث عام (١٩٨٩ م) ، وهذه الأحداث لا يمكنها إلا أن تدهشنا باتساع مداها ، وخاصة بسرعة سياقها ، إذ أن أعوام الثمانينيات قد انساقت ، وهى مثقلة بخطر متزايد ، عقب الحرب الباردة . وسنة (١٩٨٩ م) قد أتت بحل سلمى ، اكتفى ؛ إن أمكن القول ، بشكل تطور (عضوى) ، وعلى ضوء هذا الحل نشعر بأننا مدفوعون إلى الاعتراف بمعنى نبوئى للخطاب الرسولى المعنون (الشئون الحديثة) : فما كتبه البابا ليون الثالث عشر عن الشيوعية قد تم تحقيقه ، مثلما أوضحت ذلك فى الخطاب الرسولى المعنون (السنة المائة)**[1] . **ومن الواضح أنه يمكننا القول فيما يتعلق بهذه الأحداث : إن يد الله الخفية كانت تعمل باهتمام أمومى : فهل يمكن لأم أن تنسى ابنها الصغير ؟ »** (عن ٤٩ / ١٥) .

الأمر الذى يوضح ، إلى أى مدى تتدخل الكنيسة الفاتيكانية فى الشئون السياسية لا فى بلدها فحسب ، وإنما فى العالم أجمع .

وهذا « **العام المريمى** » الذى يشير إليه البابا كان بمثابة ، الغطاء الدينى الذى قام به لإحياء الكنيسة الأرثوذكسية فى الاتحاد السوڤيتى ، باختلاق ظهور السيدة العذراء ليبدو مخطط ضرب اليسار ، وكأنه تم فى شكل « تطور عضوى » يسانده ما يكتبونه من

(١) هو الخطاب الرسولى الذى كتبه يوحنا بولس الثانى ، بمناسبة مرور مائة عام على خطاب « الشئون الحديثة » .

« نبوءات » فى خطبهم الرسولية !! لذلك ينهى هذه الفقرة بالإشارة إلى يد الله الخفية و « اهتمامها الأمومى » ، وهى عبارة تشير ضمنًا إلى : المرتبة التى قامت الكنيسة برفع السيدة مريم إليها فى الخمسينيات ومساواتها « **بالله الثلاثى** » ، بما أنها أم إحدى شخصياته الثلاث !!

ثم ينتقل البابا إلى ما بعد عام (١٩٨٩ م) ، أى بعد الأحداث التى ساهم فيها شخصيًا لإسقاط الشيوعية ، قائلاً : «**غير أن المخاطر الجديدة التى لاحت بعد عام (١٩٨٩ م) والتهديدات الجديدة الناجمة عنها، قد أوضحت خطر صحوة القوميات، مثلما هو واضح فى أحداث البلقان، والمناطق القريبة، الأمر الذى يلزم الدول الأوروبية بمراجعة ضميرها والاعتراف بالغلط والأخطاء التاريخية فى الحالات الاقتصادية والسياسية تجاه الأمم، التى قامت الإمبريالية فى القرن الماضى وفى القرن الحالى: بنهب حقوقها بجانب . . .** » (بند ٢٧) .

والغلط الذى يعنيه البابا هنا هو ترك بعض البلدان الأوروبية تقع فى براثن اليسار السياسى والاقتصاد الاشتراكى .

أما فيما يتعلق بالإعداد الفورى لهذا اليوبيل ، وهو موضوع القسم الرابع من هذا الخطاب الرسولى ، ويقع فى سبعة وعشرين بندًا ، فإن أول ما يتفوه به البابا هنا ، هو ضرورة مراعاة إمكانية تنفيذ هذا المخطط الاحتفالى فى كافة الكنائس المحلية ، وبخاصة « **تلك التى تعيش فى ظروف شديدة الاختلاف** » (بند ٢٩) أى فى بلدان غير مسيحية .

لذلك يقوم بتقسيم الفترة الزمانية الباقية من هذا القرن إلى مرحلتين ، على أن تكون المرحلة الأولى : بمثابة إعداد الأتباع وتهيئتهم نفسيًا بصورة عامة ، ثم يتم التركيز بعد ذلك على المرحلة الثانية : وهى آخر ثلاث سنوات فى هذا القرن ، « **تخصص كلها للاحتفال بسر المسيح المنقذ، أى بسر تكوينه الثلاثى** » (بند ٣٠) .

ويرى البابا أن تتضمن المرحلة الأولى : الاعتراف بالأخطاء ، والاهتداء ، أى عملية المصالحة بين مختلف الكنائس واعتناقها لكاثوليكية روما .

وهنا يوضح البابا أنه « **من المفيد أن تعبر الكنيسة هذه الفترة من بداية الألفية الثالثة، وهى مدركة تمامًا لكل ما عاشته طوال العشرة قرون الماضية، إذ إنه لا يمكنها أن تجتاز عتبة الألفية الجديدة، دون أن تحث أبناءها إلى التطهر، وذلك من خلال الندم على الأخطاء، والخيانات، والتناقضات، والتباطؤات، فالاعتراف بأخطاء الأمس تمثل: فعل أمانة، وشجاعة، يساعدنا على تقوية إيماننا، ويجعلنا نتبصر إغراءات ومصاعب اليوم، ويعدنا على مواجهتها** » (بند ٣٣) .

ويعنى البابا بأهم هذه الأخطاء ، « **تلك التى أدت إلى المساس بالوحدة التى أرادها الله لشعبه** » (بند ٣٤) .

والتمزقات التى تعرضت لها صفوف الإكليروس « **التى تمثل فضيحة فى نظر العالم** » (بند ٣٤) .

ومنها « **الموافقة - التى تمت بخاصة فى بعض القرون - لاستخدام أساليب التعصب بل والعنف فى خدمة الحقيقة** » (بند ٣٥) .

ولكى ينصف الحكم على التاريخ يحدد البابا : « **إنه يجب أن نأخذ فى الاعتبار، الظروف الثقافية السائدة آنذاك، فقد اعتقد الكثيرون بكل صدق، تحت تأثيرها، أن الولاء الصادق للحقيقة هو إخراس رأى الآخر أو على الأقل تهميشه** » (بند ٣٥) .

ثم ينتقل البابا إلى أخطاء الحاضر ومنها : عدم المبالاة الدينية ، وضياع مفهوم تعالى الحياة البشرية وتصعيدها ، والتخبط فى المجال الأخلاقى حتى فيما يتعلق بالقيم الأساسية واحترام الحياة واحترام الأسرة ، لذلك يرى أنه « **يتعين على الأتباع مراجعة مدى تأثرهم بالعلمانية والدنيوية والنسبية الأخلاقية** » (بند ٣٦) .

وبخاصة « **أولئك الذين ينساقون إلى نوع من الديمقراطية ونوع من الاجتماعية التى لا تحترم الرؤية الكاثوليكية للكنيسة، ولا أصالة روح مجمع الفاتيكان الثانى** » (بند ٣٦) .

وينتهى هذا الجزء بضرورة إقامة مجامع كنسية أسقفية قارية ، من قبيل المجمعين اللذين أقيما فى روما بشأن كل من أوروبا وأفريقيا ، على أن يخصص واحد للأمريكتين ، حول عملية التبشير الجديدة ، وآخر حول آسيا التى تطرح فيها بصورة أكثر إلحاحًا عملية لقاء المسيحية ، مع الثقافات والديانات المحلية الشديدة القدم . الأمر الذى يمثل تحديًا كبيرًا بالنسبة لعملية التبشير لأن الأنسقة الدينية ؛ مثال : البوذية ، والهندية ، ذات طابع مشابه للمسيحية ، إذ إنها تعتمد أيضًا على فكرة « **منقذ** » (بند ٣٨) .

وهنا يؤكد البابا : إنه لمن الأمور الشديدة الإلحاح أن يتم انعقاد مجمع كنسى بمناسبة اليوبيل الكبير ،لتوضيح وتعميق المذهب الخاص بالمسيح ؛ الذى هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر والمخلص الوحيد للعالم ، مع تمييزه تمامًا عن مؤسسى الديانات الكبرى الأخرى ، والتى نجد فيها رغم ذلك بعض عناصر من الحقيقة ، والتى تنظر إليها الكنيسة باحترام صادق ، إذ ترى فيها انعكاسًا للحقيقة التى تنير كافة البشر (بند ٣٨) أى الحقيقة المسيحية .

كما يطالب البابا بانعقاد مجمع كنسى أسقفى آخر خاص بالمنطقة الأقيانوسية « **حيث يجب عدم إهمال موضوع لقاء المسيحية مع تلك الأشكال الشديدة القدم من التدين والمتميزة باتجاه وحدوى، الأمر الذى له مغزاه الشديد** » (بند ٣٨) ويقصد بها الديانة البوذية أساسًا : القائمة أيضًا على فكرة الفداء .

* * *

- ٤ -

أما المرحلة الثانية لهذا المخطط ، والتى تأتى بعد ما أطلق عليه تهيئة المناخ العام ، فيرى البابا : أن تمتد على ثلاث سنوات ، من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩ م « **على أن تكون البنية الموضوعية لهذه السنوات الثلاث متمركزة حول المسيح، ابن الله وقد تجسد بشرًا، وهو احتفال لا يمكن أن يكون لاهوتيًا، أى متعلقًا بالثالوث** » (بند ٣٩) على الطريقة الكاثوليكية .

فالعام الأول (١٩٩٧ م) سيخصص للتأمل حول السيد المسيح ، ويرى البابا : إنه لابد من التأكيد هنا على إبراز الطابع الشديد المسيحية لليوبيل ، الذى سيحتفل بسر الخلاص لكافة البشر : « **يسوع، المسيح، المنقذ الوحيد للعالم، بالأمس، واليوم، وإلى الأبد** » (بند ٤٠) .

مع العمل على «**إعادة اكتشاف المسيح منقذًا ومبشرًا**» (بند ٤٠) .

مع إحياء مضمون الأسرار السبعة للكنيسة ، وبخاصة التعميد ، الذى يمثل وفقًا لكتاب التعليم الدينى الجديد [الذى أصدره البابا فى ديسمبر ١٩٩٢ م] : « **أساس التقارب بين كافة المسيحيين، وكذلك بين كل الذين لم يتقاربوا بعد كلية من الكنيسة الكاثوليكية** » (بند ٤١) أى اليهود والمسلمين وأتباع الديانات العالمية الأخرى .

وينهى البابا (البند ٤٤) من القسم الرابع لمخططه قائلاً : «**ومن قبيل الاهتمام بالواقعية، يجب عدم إغفال ضمير الأتباع فيما يتعلق بالأخطاء التى تمس شخص المسيح، مع توضيح المعارضات الواضحة**

ضده وضد الكنيسة بدقة » ولا يسع المجال هنا لتناول كل هذه المعارضات التى تمتد على مدى ألف عام .

والعام الثانى لهذا الاحتفال (١٩٩٨ م) يكرسه البابا للروح القدس « **بما أن سر التجسد قد تم بفضل الروح القدس المساوى للآب والابن** » (بند ٤٤) .

وهو عكس ما تؤمن به الكنائس الأرثوذكسية ؛ ولم يفت البابا أن يوضح أهمية الروح القدس فى نظره ، فهو الفراقليط الذى سيرسله الآب باسمى يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم (يوحنا ٢٦ : ١٤) (بند ٤٤) .

لذلك يرى البابا أنه يتعين على المسيحيين « **أن يستعدوا لهذا اليوبيل بإحياء رجائهم فى المجىء النهائى لمملكة الرب.. وذلك بإبراز قيم الرجاء الواضحة، فى نهاية هذا القرن.. والتى تتضح فى التقدم الذى أحرزه العلم... والتزود بإحساس أكبر بالمسئولية حيال البيئة والجهود المبذولة لإقامة السلام والعدل فى كل مكان تم اغتصابهما فيه، وإرادة المصلحة والتضامن بين الشعوب المختلفة وبخاصة العلاقات المعقدة بين الشمال والجنوب فى العالم.. والعمل على وحدة كافة المسيحيين، والأهمية المضفاة على الحوار مع الديانات ومع الثقافة المعاصرة** » (بند ٤٦) .

أما العام الثالث والأخير (١٩٩٩ م) فسيخصص لتمجيد الآب الثلاثى التكوين ، والعمل على إبراز قيمة المحبة والرحمة ، خاصة وأن الطريق إلى العدالة والسلام فى هذا العالم « **تحفه العديد من الصراعات وعدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية المتعددة الأشكال** » (بند ٥١) .

وبعد أن قام بالتمهيد للمرة الثانية لعدم المساواة الاقتصادية الناجمة عن الإمبريالية ، ونهبها لموارد العالم الثالث ، أو لأهل الجنوب أينما كانوا .

يرى البابا أن تكون مناسبة اليوبيل هذه بمثابة « **لحظة سانحة ليتم فيها التفكير إلى جانب أشياء أخرى - لم يفصح عنها نيافته - ، في تحقيق هام، إن لم يكن في إلغاء بالكامل للديون الدولية التي تثقل على العديد من الأمم، بذلك سيمكن لليوبيل تقديم فرصة التأمل حول تحديات أخرى للعصر، من قبيل: صعوبات الحوار مع الثقافات المختلفة والمشكلات المرتبطة باحترام حقوق المرأة ونشر مفهوم الأسرة والزواج** » (بند ٥١) .

ويوضح البابا في البند (٥٢) لهذا المخطط ، المنشور السياسي ، أهم حقلي عمل يجب توليتهما عناية خاصة وهما : « **المواجهة مع العلمانية، والحوار مع الديانات الكبرى** » ، وفيما يتعلق بالنقطة الأولى يجمعها في عبارة « أزمة الحضارة » كما هي واضحة في الغرب المتقدم نفسيًا ، وإن كان أكثر افتقارًا نفسيًا لنسيانه الله أو لتهميشه إياه .

أما فيما يتعلق بالحوار بين الأديان ، فيرى أن تتم مواصلة ذلك الحوار « **وفقًا للتعليمات الشديدة الوضوح التي أملاها المجمع الفاتيكاني الثاني في بيان (في زماننا هذا) حول علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية** » (بند ٥٣) .

متمنيًا إمكانية ترتيب لقاءات مع اليهود والمسلمين « **في أماكن لها مغزاها بالنسبة للديانة الكبرى التوحيدية** » (بند ٥٣) .

لذلك يرى « **دراسة إمكانية عمل لقاءات تاريخية فى بيت لحم، والقدس، وجبل موسى فى سيناء، وهى أماكن ذات قيمة رمزية عالية، بغية تكثيف الحوار مع اليهود ومع أتباع الإسلام، وأيضًا ترتيب لقاءات مع ممثلى الديانات الكبرى فى العالم فى مدن أخرى، مع الحرص دومًا على عدم إثارة عمليات سوء فهم خطيرة عند مجازفة محاولات التوحيد السهلة والمخادعة** » (بند ٥٣) .

وفيما يتعلق بالاحتفال الكبير ، فيرى نيافته « **أن يتم ذلك فى آن واحد فى كل من الأراضى المقدسة، وفى روما، وفى كافة الكنائس المحلية للعالم أجمع** » (بند ٥٥) .

على أن تكون غاية الاحتفال هى : «**تمجيد الثالوث**» (بند ٥٥) .

وأن يقام فى روما بهذه المناسبة «**مؤتمر عام لسر القربان**» (بند ٥٥) . . أى أن يكون عام ألفين ؛ هو العام الدولى للقربان ، أو عام الخلاص للعالم أجمع كما أطلق عليه .

وينهى البابا خطابه ، بالإشارة الخاطفة حول إنجازات الكنيسة فيما يتعلق بعمليات التنصير فى العالم ، موضحًا أنه على الرغم من انحسار المسيحية فى الغرب إلا أنها تزدهر فى كل من أفريقيا وآسيا ، بفضل نشاط مبشريها ، مؤكدًا : « **إن الكنيسة ستواصل مهمتها التبشيرية فى المستقبل أيضًا، فالطابع التبشيرى يمثل بالفعل جزءًا من طبيعتها** » (بند ٥٧) .

* * *

ومن بين التعليقات الشحيحة التى صدرت حول هذا الخطاب فى الصحف الفرنسية ، ما كتبه « هنرى تانك » فى جريدة لوموند (١٥ / ١١ / ١٩٩٤ م) مشيرًا إلى أن « إعدادات البابا لاتفتقر إلى الجرأة أو إلى التنسيق . . إذ يبدأ خطابه بتأمل طويل حول مغزى قيمة الزمان ليؤكد على سيادة المسيحية على كافة الديانات ، ثم يتناول سر التجسد – أى تجسد الله عز وجل فى السيد المسيح – ، وهو السر الذى يمثل مولد المسيح بالنسبة للمسيحيين ، ويوضح البابا فى هذا الجزء ، كيف أن التراث الوارد بالعهد القديم بكله ، يرمى إلى قضية انتظار « مسيح » ، وأن هذا المسيح فى نظره هو « عيسى » الذى أتى منذ ألفى عام لإتمام هذه الرسالة ، بغض الطرف عن دقة التواريخ ، إذ أن التراث المسيحى يحدد مولده بخمسة أو أربعة أعوام ، قبل التقويم الميلادى ، وهناك من يعود به إلى العام التاسع أو السابع قبل نفس التقويم !

ويواصل هنرى تانك ، عرضه للخطاب الرسولى قائلاً :

« ويقرأ المرء بحرج شديد أحياناً تلك الصفحات التى يقول فيها البابا : إن دخول الله فى التاريخ البشرى بمثابة تطلع ، نجده فى كل الديانات ، إذ أن يسوع بالنسبة للمسيحيين هو الله وهو إنسان فى آن واحد .. وأن المسيح هو تحقيق تطلع كافة ديانات العالم ، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى » !

ولا شك فى أن الحرج الذى يشعر به كاتب المقال ، ناجم عن إلغاء نيافة البابا للديانات الأخرى بجرة قلم ، التوحيدية منها

وغير التوحيدية ، كما أنه حرج ناجم عن كل ما يعرفه الكاتب من معلومات مؤكدة تشير إلى كل ما تم فى المسيحية من تلاعب وتبديل ، وتكفى عبارته القائلة : « **وإن هذا (المسيح) فى نظره هو عيسى** » ، فالثابت تاريخيًا أن إشارات العهد القديم تلك لم تكن تعنى عيسى ابن مريم ؛ وإنما تعنى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ويواصل الكاتب معلقًا على العبارة السابقة قائلاً : «**إنه لا يشير إلى التراث التبشيرى الذى هو خاص باليهودية ، ولا للتراث الإسلامى الذى لا يرى فى يسوع سوى نبى من الأنبياء** » .

ثم يوجز عرض البابا لقضية « التجسد » هذه والتى يقول عنها : إنها تجعل من الإنسان « كائنًا روحيًا وخالدًا أساسًا ، والتى تتميز بها الديانة المسيحية وحدها » قائلاً : « **إن هذا الطابع الاحتكارى المضفى على التجسد المسيحى ، لم يمنع البابا من رؤية منظور توحيدى لضم الكنائس ، بأوسع معانى الكلمة ، وهو منظور يشتمل ، أيضًا ، على العقائد اليهودية ، والإسلامية والشرقية التى ينوى البابا يوحنا بولس الثانى ، أن يضمها للاحتفالات التى يعلن عنها بمناسبة بداية الألفية الثالثة للمسيحية، بل إنها المحور الأساسى لهذا الخطاب الأخير** » .

ثم يتعرض الكاتب هنرى تانك إلى الانقسامات التى اتسمت بها الألفية الحالية ، والتى أوضح البابا ؛ أنها تشتمل على عدة قضايا منها التمزقات المؤلمة التى عرفتها جماعة الإكليروس ، وهى انقسامات تتناقض صراحة مع إرادة المسيح ، وتمثل فضيحة فى نظر العالم ، إلا أن هذه الأخطاء المتعلقة بالماضى ما زالت ترمى بثقلها للأسف ، لذلك من الضرورى أن نقر بالذنوب ونعترف بها

جهارًا ، مستجدين غفران المسيح بقوة . . . لأن الكنيسة لا يمكنها أن تجتاز عتبة الألفية الجديدة ، دون أن تحث أبناءها على التطهير من خلال الندم على الأخطاء والخلافات والتنافرات والتباطؤات .

غير أن الكاتب يوضح قائلاً : « **إن البابا لا يشير فى هذا الجزء من الخطاب إلى الجرائم التى وقعت باسم محاكم التفتيش الكاثوليكية أو عن طريق التنصير الإجبارى** » ، ولا إلى « **الحروب الدينية المسيحية** » ، ولا إلى « **مذابح الهنود الحمر على أيدى المبشرين [الكاثوليك]** » ، ولا إلى « **مذابح اليهود التى لم يشر إليها بكلمة أيضًا** » ، الأمر الذى يلطخ الكنيسة وتعصبها بما يصعب اغتفاره على مر التاريخ فى نظر هنرى تانك . . . وهى جرائم نضيف إليها مذابح المسلمين ، التى لم يشر إليها لا البابا ، ولا الذين تناولوا التعليق على خطابه ، لكى لا نقول شيئًا عن مذابح الإسلام الدائرة فى كل مكان ، ولا عن كل ما عاناه المسلمون من محاولات ، لاقتلاعهم بالقتل ، أو بالتنصير ، منذ الحروب الصليبية بصورها المختلفة حتى يومنا هذا . إلا أن البابا على ما يبدو لا يهتم سوى بما دار من قِبَل الآخرين من مجازر ، متناسيًا ما قام به التعصب الكاثوليكى منذ بداية مشواره .

ومن اللافت للنظر – من حيث القدرة على بتر الحقائق والمجاهرة بعكسها – أن يدغم البابا كل هذه الجرائم فى عبارة مقتضبة مغلفة تقول : « **لا يمكننا ألا نأخذ فى الاعتبار الظروف الثقافية التى سادت آنذاك** » ! . . مجرد ظروف ثقافية !

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأخطاء والجرائم التى يتحدث عنها البابا تعنى : ما قامت به المذاهب والطوائف المسيحية الأخرى فى حق الكاثوليكية التى يترأسها ، لذلك يطالبهم بالمجاهرة بأخطائهم ، وبجرائمهم فى حق الكنيسة الأم ، حتى يمكن جمع شملها . . وهو ما دفعه إلى توضيح : « **إن أفضل إعداد لاحتفالات انقضاء ألفى عام لا يمكن أن يتم التعبير عنها، إلا بتجديد الوعد بالالتزام بتطبيق تعاليم مجمع الفاتيكان الثانى على حياة كل فرد وعلى كل كنيسة** » .

وقد شرع البابا بالفعل فى عملية إدماج الكنائس - بغض الطرف عن خلافاتها العقائدية الجذرية التى لم تُحل - وذلك باتخاذ إجراءات إعادة صياغة قوائم الشهداء وسائر القديسين لمختلف الطوائف المسيحية الأساسية فى قائمة واحدة ، من أجل حث خطى تنفيذ عملية الكنيسة العالمية الموحدة ، على أن تتضمن القائمة شهداء الكاثوليك ، والأرثوذكس والأنجليكان والبروستانت ، لأن « **توحيد القديسين والشهداء - فى نظر البابا - قد يكون أكثر إقناعاً فى التقريب بين الكنائس** » !

وفى نهاية هذا العرض الخاطف للخطة الخمسية للبابا يوحنا بولس الثانى ، وهى خطة ملزمة لكافة السياسيين المسيحيين ولكافة الكنائس ، بحكم عقيدة الإيمان وبحكم القانون الكنسى وشرائعه ، وقبل الرد على بعض أهم النقاط الواردة به ، لا يسعنا إلا أن نبدأ بالتساؤل حول « ذلك المغزى الكبير وغير المعلن » لعام بأسره عن «القربان » والذى تسبقه عملية إسقاط هامة للديون

الدولية التى تثقل على مصير العديد من الدول ، إن لم يكن إسقاطًا كاملاً لها ؟! ترى هل سيتم إسقاط ديون العالم الثالث فى الأعوام القليلة القادمة شريطة تنصيره ، أو ثمنًا له ، والاحتفال بعد ذلك بابتلاع القربان تدشينًا لذلك التنصير المدفوع الأجر ؟!

وإذا ما حاولنا استخلاص أهم النقاط الواردة فى هذا الخطاب الرسولى ، سنجد أنها تتعلق بالموضوعات التالية : الإنجيل ، الكاثوليكية ، يسوع ، توحيد الكنائس واقتلاع الديانات الأخرى ، الانقسامات ، وضرورة الاعتراف بالأخطاء من أجل إقرار الحقيقة ، مجمع الفاتيكان الثانى .

وعبارة « الحقيقة » من أهم العبارات التى يستخدمها البابا يوحنا بولس الثانى فى أحاديثه وخطبه .. تلك الحقيقة التى وصل ولهه بها ، وإيمانه بأهميتها إلى درجة جعلته يفرد لها خطابًا رسوليًا بأسره ، صدر فى شهر أكتوبر الماضى (١٩٩٣ م) بعنوان «**روعة الحقيقة** »[(١)] .

والحقيقة رائعة .. رائعة ولا شك فى روعتها رغم كل ما تسببه من آلام ومعاناة أحيانًا .. وهى لا تفرض نفسها إلا بقوة ما تحمله من حقائق - كما أوضح البابا فى مكان ما بخطابه هذا - إلا أن «الحقيقة» القائمة على الزيف والتحريف وطمس الحقائق التاريخية المعاشة تختلف عن الحقيقة الحقة .

وبما أن البابا لا يتناول ، بل ولا ينظر إلا إلى نوع واحد من «الحقيقة » ، فقد رأينا أن نعرض لبعض الحقائق التى تعمد «إخراسها» أو « تهميشها » كما يقول عن الآخرين .

(١) قمنا بالتعليق عليه فى كتابنا المعنون : « تنصير العالم » .

ولكى نضرب مثالاً لما نعنيه ، نورد تلك العبارة التى قالها البابا عن الأخطاء السالفة للكنائس الأخرى : « لا يمكننا إلا أن نأخذ فى الاعتبار **الظروف الثقافية** التى سادت آنذاك » . والقارئ العادى لهذه العبارة لا يرى فيها سوى المنطق السليم المحايد ، غير أنه إذا ما قرأ ما أورده هنرى تانك فى عرضه للخطاب ، وكل ما سرده من جرائم قامت بها الأيادى العابثة فى الكاثوليكية على مر العصور ، لتغير موقفه .

وإذا ما حاولنا اتباع نفس المنهج فى عرض الجانب الآخر من الحقائق لأهم النقاط الواردة بهذا الخطاب الرسولى ، أو بهذه الخطة الخمسية للبابا ، لوجدنا صورة فظيعة نذكرها فيما يلى ، إلا أننا نبدأ بفقرة مقتضبة حول الثالوث الذى يقام عليه الاحتفال برمته لنوضح :

إن الثالوث لم يرد ذكره إطلاقًا فى الكتاب المقدس بعهديه ، وإنه عبارة عن رمز تم نسجه على مر الأيام ، وإن المسيحيين لم يعرفوا عبارة التثليث قبل نهاية القرن الثانى الميلادى ، وإن أقدم استخدام لها وارد عند تيو فيلس الإنطاكى فى كتابه المعنون : « إلى أوتوليكوس » ، وقد أدى هذا التحريف الثلاثى لله سبحانه وتعالى إلى العديد من الانقسامات حتى بعد تثبيته رسميًا ، أو إجباريًا فى مجامع القرن الميلادى الرابع ، وهو محاولة للمزج بين تعاليم المسيحية كما أتى بها السيد المسيح ، وبين الديانة الهالينية ؛ التى هى امتداد للديانة المصرية القديمة ، وذلك بغية اكتساب أكبر قدر من الأتباع ، وهى نفس العملية التى يحاول البابا القيام بها وتغافله الخلافات الحقيقية بغية تنصير العالم بأى ثمن وبأية وسيلة !

الإنجيل : من المعترف به يقينًا أن الأناجيل المتداولة ، حاليًا ، قد تمت كتابتها بعد وفاة السيد المسيح بفترات ، ما زال الاختلاف دائرًا حول طولها ؛ إلا أن الاختلافات العقائدية الشديدة الوضوح بينها ، والإشارة فى بعضها إلى واقعة استيلاء الرومان على مدينة « القدس » آنذاك ، لدليل قاطع على أنها قد صيغت بعد عام سبعين ميلادية ، دون أن نذكر شيئًا عن كل ما اعتراها من تغيير وتبديل ما زال يتم من طبعة لأخرى . . إلا أن ما نود التأكيد عليه هو : إنها قطعًا ليست «**الإنجيل الذى عرضه يسوع فى المعبد اليهودى** » وبالتالى فلا يمكنها أن تكون « **رسالة تحرير لكافة شعوب العالم** » كما يقول نيافة البابا !

الكاثوليكية: تشهد الوقائع التاريخية المعاشة بأن ما قام به التيار العابث المتعصب فى الكاثوليكية هو الذى أدى إلى الخلافات العقائدية الجذرية بين الكنائس ، وإلى انقسامها إلى مذاهب متباينة متناحرة . وقد قام نفس هذا التيار العابث بفرض عبارة «هرطقة» على كافة هذه المذاهب المسيحية المنشقة عليه ، بل وعلى الديانات الأخرى وبخاصة الإسلام الذى أتى كاشفًا ، ومصوبًا لكل ما تم من تحريف أساسى فى المسيحية ، وجرفها بعيدًا عن مسارها التوحيدى المنزّل .

والتاريخ المعروف ، المُعاش ، يقول : إن رسالة التوحيد نزلت على موسى عليه السلام ، تشريعًا دنيويًا وأخرويًا ، وإنه حينما انحرف اليهود عن مسارهم ، أتى السيد المسيح عليه السلام ، مصوبًا لهذا الانحراف فحسب ، فهو القائل : « **ما جئت لأنقض الناموس وإنما جئت من أجل خراف إسرائيل الضالة** » .

لذلك أتت المسيحية خالية من أى تشريع لأنها استمرار لنفس الناموس التوحيدى السابق ، ولم تتضمن سوى توجيهات إنسانية لتلك « الخراف الضالة » .

وحينما أصرّت هذه « الخراف » على انحرافها وضلالها وتمادت فيه وفى تحريف رسالة التوحيد وشرائعها ، أتى سيدنا محمد ﷺ مصوبًا لما ألم بالرسالة ، وأنزل الله سبحانه وتعالى القرآن ؛ تشريعًا ؛ دنيويًا ؛ وأخرويًا ؛ لكل زمان ومكان . ذلك لأنه يتضمن أكثر من خمسمائة حُكم من الأحكام المطلقة . والحكم المطلق هو الذى يمكن القياس عليه مجردًا ، فى أى زمان وفى أى مكان . فكيف يطالعنا البابا «سيادة المسيحية على كافة الديانات » وكيف يجاهر بسيادة الكاثوليكية التى يترأسها ويسعى لتنصير العالم وفقًا لها ؟!

يسوع : تقوم المسيحية الحالية على اعتبار أن الله عز وجل هو السيد المسيح ، وهو نفس ما يواصل البابا على تأكيده ، بل يصل به التعنت إلى درجة اعتبار « أن السيد المسيح هو تحقيق لتطلع كافة ديانات العالم وهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى » كما يقول فى خطابه الأخير موضوع هذا البحث .

ولا يسع المجال هنا ، لعرض كافة الوثائق الدالة على أن السيد المسيح عليه السلام كان نبيًا من أنبياء الله المرسلين ، وبخاصة مخطوطات قمران ، أو البحر الميت المكتشفة عام (١٩٤٨ م) ، ولن نستشهد بآيات القرآن الكريم ، التى تؤكد ذلك ، وإنما سنكتفى ببعض كلمات السيد المسيح نفسه كما هى واردة فى الأناجيل الرسمية المتداولة حاليًا ، حيث نراه يفرّق بوضوح لا لبس فيه بينه وبين الله سبحانه وتعالى :

«... فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» (مرقس ١٢: ٢٩)

«...لماذا يدعونى صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله» (متى ١٩: ١٦)

«... اذهبى إلى إخوتى، وقولى لهم: إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم» (يوحنا ٢٠: ١٧)

«... قلت: أمضى إلى الآب، لأن أبى أعظم منى» (يوحنا ١٤: ٢٨)

«... لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (متى ٤: ١٠)

«... ولا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذى فى السماوات» (متى ٢٣: ٩)

«... أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله» (يوحنا ٨: ٤٠)

«... والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى» (يوحنا ١٤: ٢٤)

كما أن هناك آيات للحواريين تدل بما لا يدع مجالاً للشك بأن السيد المسيح عليه السلام كان نبياً من الأنبياء، ومنها:

«... هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل» (متى ١١: ٢١)

«قد قام فينا نبى عظيم» (لوقا ٧: ١٦)

«... إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم» (يوحنا ٦: ١٤)

«يسوع الناصرى الذى كان إنساناً نبياً مقتدراً فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعوب» (لوقا ٢٤: ١٩)

وهنا لا يسعنا إلا أن نتساءل أيهما نصدق: السيد المسيح الذى تحدث بوضوح لا لبس فيه، أم نيافة البابا الذى يواصل

عملية فرض ما تم نسجه على مر الأيام ، لاستبعاد النبوة عن سيدنا محمد ﷺ ، ومواصلة محاولة اقتلاع الإسلام التى بدأت منذ بداية انتشاره ؟!

المنظور التوحيدى: تعد عملية توحيد الكنائس ، تحت لواء كاثوليكية روما ، من الملامح التى يتمسك بها محركو هذا التيار ، منذ استيلائهم على السلطة فى القرون الأولى للمسيحية ، غير لأنه أصبح من القرارات الأساسية للكنيسة ، منذ المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢ - ١٩٦٥ م) . ذلك المجمع الذى قرر رفع عبارة « هراطقة » عن الكنائس الأخرى واعتبارها كنائس لإخوة منشقين ، كما قام بإطلاق عبارة « الإخوة السابقين إلى الإيمان » على اليهود بعد تبرأتهم من دم السيد المسيح ، كما يقولون ، وبعد أن ظلت الكنائس تردد ذلك فى كل قداس من أيام الأحد على مدى ألفى عام تقريبًا . وتمت المصالحة الشكلية السياسية ، إذ أن المصالحة العقائدية - والمفترض أنها الأساس - متوقفة على اعتراف اليهود بالسيد المسيح إلهًا ، الأمر الذى يرفضه اليهود جهارًا إذ إنه يعنى تنصير كافة يهود العالم بكلمة واحدة !!

فكيف يتغاضى نيافة البابا يوحنا بولس الثانى عن كل هذه الحقائق المعاشة ، ويصر على « إخراس » أو « تهميش » كل هذه الخلافات العقائدية الجذرية بين المذاهب المسيحية بعضها بعضًا ، وبين المسيحية واليهودية ، إلى جانب إصراره على إلغاء وجود الإسلام والديانات العالمية الأخرى لتوحيد شعوب العالم تحت لواء الكاثوليكية التى يترأسها ؟!

الانقسامات : إن الانقسامات التى أشار إليها البابا على أنها «**تمثل فضيحة فى نظر العالم**» لا تمثل مجرد خلافات يمكن دمجها تحت عبارة شاملة واحدة ، وإنما هى تصدعات عميقة ألمت بذلك البنيان القائم على التحريف ؛ وهى تصدعات ناجمة اختصارًا عن أن نفس الشكل الحالى للعقيدة والثالوث الذى لم يعد مقنعًا للأتباع ، الأمر الذى دفع الكنيسة الهولندية - وهى الكاثوليكية أيضًا - إلى إصدار كتاب للتعليم الدينى عام (١٩٦٦ م) غير ذلك الذى كان سائدًا منذ القرن السادس عشر ،لم تورد به ذكر عقيدة الإيمان ولا عبارة الثالوث ، فقام البابا يوحنا بولس الثانى بإصدار كتاب جديد للتعليم الدينى ، فى أواخر شهر ديسمبر عام (١٩٩٢م) يؤكد فيه تمسك الفاتيكان بموقفه وإصراره على إبقاء العقيدة كما تم نسجها بدءاً بتأليه السيد المسيح فى مجمع نيقيه الأول عام (٣٢٥) ميلادية وكل ما ترتب عليه من إضافات وتبديل .

ولا يسمح المجال هنا لتناول مختلف موضوعات الانقسامات ، والتى دفعت بالآلاف من رجال الإكليروس إلى الابتعاد عن الكنيسة وتحكماتها القمعية ، وقد آثر العديد منهم مواصلة صلواتهم بعيدًا عن قبضتها ، حتى أصبح هناك اليوم فى الغرب ما يطلق عليه « الكنائس المنزلية» .

وكل هذا الموقف برمته لا يمثل فضيحة فى نظر العالم ، وإنما هو تعصب أكمه لا يرى ولا يسمع . . أما الفضيحة الحقيقية ، بكل ما تحمله من فجاجة فى الخروج على تعاليم الله سبحانه وتعالى ، هى مواصلة الإصرار بدأب ، لا لفرض هذا التعصب على المسيحيين فحسب ، وإنما على العالم بأسره !!

الاعتراف بالأخطاء : لا شك فى أن الاعتراف بالحق فضيلة . . وأن يطالب البابا الكنائس بإقرار ذنوبها والاعتراف بها ، ويحث أبناءها على « التطهر من خلال الندم على الأخطاء والخيانات والتنافرات والتباطؤات» تعد من الفضائل التى تحسب له ؛ غير أن ما يعنيه نيافته ، هو أن تقوم الكنائس الأخرى بإقرار ذنوبها التى اقترفتها فى حق الكنيسة الكاثوليكية ، والأخطاء التى اقترفوها بالانشقاق عليها ، والخيانات التى قاموا بها بالابتعاد عنها ، أو النفور منها ، وكشف خباياها ، والتباطؤ الشديد فى الرجوع إليها ؛ إلى حصن الفاتيكان الأوحد والوحيد .

وهنا لا يسعنا إلا أن نطرح سؤالاً : أليس من الأفضل والأكرم للجميع ، أن تبدأ الكنيسة الأم بضرب المثل ، القدوة على « الأمانة والشجاعة » التى تطالب بها الكنائس الأخرى ، وتعترف بكل ما قامت به الأيادى العابثة المتعصبة على مر التاريخ ؟! أليس من الأفضل والأكرم ،لنيافة البابا الذى يتغنى بالحقيقة وبروعتها ، أن يبدأ هو بتطبيق معاييرها ، والاعتراف بكل ما أدى إلى أن تحيد المسيحية الحقة عن مسارها المنزل ، وعن رسالتها التوحيدية التى لا تعبد إلا الله وحده لا شريك له ، كما قال عيسى ابن مريم وكما نص القرآن ؟! أليست الحقيقة أروع وأصدق من التمسك بقرارات مجمع الفاتيكان الثانى الهجومية المتعصبة المصرة على التحريف والتزييف ؟!

مجمع الفاتيكان الثانى (١٩٦٢-١٩٦٥م): اتسم هذا المجمع بأنه أول مجمع هجومى فى تاريخ المجامع ، إذ أن المجامع المسكونية السابقة كانت تقام لتثبيت تحريف جديد أو للدفاع عنه ، وقد صدرت عن هذا المجمع الفاتيكانى الثانى ، قرارات لا سابقة لها فى التاريخ الكنسى بأسره ،

ومنها : توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما ؛ واعتبار المسيحيين شعب الله المختار - بدلاً من اليهود - بناء على العهد الجديد الذى أقامه بولس الرسول ؛ وأن المسيح فادى العالم بأسره ، وليس فرديًا لأتباع المسيحية فحسب ، كما كانوا يقولون من قبل ، وفرض قَسَمْ محاربة الحداثة على كافة رجال الإكليروس ، أى عدم السماح لهم بمساس النصوص الإنجيلية والإبقاء على كل ما تم بها من تغيير وتحريف ؛ وتبرئة اليهود من دم المسيح (كما يقولون) وهى تبرئة سياسية بحتة لتوحيد الجبهة ضد الإسلام واستتباب الوضع فى فلسطين المحتلة لتأكيد غرض الكيان الصهيونى ، وذلك رغم كل ما هو وارد ضد اليهود فى العهد الجديد من الإنجيل ، حتى إن بعض الآيات أصبح من المحال قراءتها فى أى قداس لتناقضها مع ما اقترفوه سياسيًا بهذا الاعتراف .

ومن قرارات المجمع أيضًا : توصيل الإنجيل إلى كافة البشر ، استنادًا إلى القرار السابق ، والخاص بتعميم عملية الفداء التى لا أثر لها فى الإنجيل ، والاستعانة بالمدنيين والعلمانيين فى عمليات التبشير من خلال المنظمات غير الحكومية ، إلى جانب مئات المنظمات التابعة للكنيسة مباشرة لتوصيل الإنجيل إلى العالم ، وهو المقصود بعبارة «انفتاح الكنيسة على العالم» وإعادة تبشير مسيحى الكتلة الشرقية وملحدى الغرب ، بالإضافة إلى اقتلاع الديانات الأخرى وبخاصة الإسلام ، الذى ما زالت الكنيسة تصر على طمس الوثائق التى تثبت لدينهم أنه أتى مصوبًا ومكملاً للديانة التوحيدية التى تم تحريفها . الأمر الذى جعل البابا يستشهد بآية الفراقليط التى سنتناولها عقب هذه النقطة ؛ كما نص المجمع على : أن تتم عمليات التبشير هذه واقتلاع الديانات الأخرى عن طريق الحوار ، بغية تجنب أية مصادمات ، وهى

أول مرة تستخدم فيها عبارة «الحوار» فى المجال الكنسى ؛ والاستعانة بكافة الكنائس المحلية لإتمام عملية تنصير العالم .

وهنا ندرك ما معنى مطالبة البابا فى خطابه الرسولى هذا «**بتجديد الوعد بالتزام كل فرد و كل كنيسة بقوانين المجمع الفاتيكانى الثانى** » .
كما ندرك ما قد تم فرضه على الكنائس المحلية . الأمر الذى يعنى : أن كافة المسلمين ، أينما كانوا ، وسواء أكانوا يمثلون أغلبية البلد الذى يعيشون فيه ، أم هم أقلية فيه ، فهم بلا شك خاضعون الآن لعملية تنصير تتم « بصبر ودأب » على حد قول البابا فى العديد من خطبه ، وإن كانت تتم اعتمادًا على التسلل البطئ وعدم المواجهة الصريحة .

ولا يسعنا هنا إلا أن نسأل نيافة البابا عن الصدق والأمانة في الحوار المزعوم والذى يعنى « تنصير العالم » ، كما قالها بصريح العبارة فى الخطاب الذى أشار إليه !

الفارقليط : يستخدم البابا عبارة « الفارقليط » الواردة فى إنجيل يوحنا أكثر من مرة بمعناها المحرف إلى « الروح القدس » . فالكلمة أصلاً كانت **Perikleitos** وتعنى « أحمد » ، وهى الواردة فى إنجيل برنابا أيضًا والذى تم استبعاده . وقد تم تحريف الكلمة إلى **Paraklytos** لتعنى « المعزى » أو « المواسى » لاستبعاد النبوة عن سيدنا محمد ﷺ ، وقد تناولنا عملية تحريف هذه العبارة بإسهاب فى بحثنا المعنون : « محاصرة . . وإبادة ، موقف الغرب من الإسلام» . ولا نورد بهذا الصدد سوى عبارة الأسقف «بنيامين كلدانى » الذى أسلم من جراء هذا التحريف قائلاً : « أتحدى بجسارة كافة الباحثين الضالعين فى اللغة اليونانية القديمة ، أن

يعارضونى عندما أعلن أن مترجمى النص السريانى واللاتينى ، قاموا بأخطاء فادحة فى ترجمتهم» (محمد فى الإنجيل ، ص١٤٦) ، وهى صيغة مهذبة لكى لا يقول « قد تم تحريفها إلى» .

وقد كانت تكتب فارقليط بالعربية ثم تم تغييرها إلى معزى أو مواسى .

وإذا ما حاولنا اختصار كل ما تقدم ، من عرض لهذا الخطاب الرسولى ، الأخير للبابا ، والصادر يوم (١٤ / ١١ / ١٩٩٤ م) إلى محاوره الأساسية لخرجنا بالنقاط الثلاث التالية :

١ - غاية الاحتفال : تمجيد الثالوث وفرضه على العالم .

٢ - مغزاه : إسقاط ديون العالم الثالث ثمنًا لتنصيره .

٣ - أهم حقلى عمل أمام الكنيسة فى الفترة القادمة :

(ا) المواجهة مع العلمانية .

(ب) الحوار مع الديانات ، وبخاصة الإسلام (والحوار فى مفهوم البابا يعنى التنصير) .

وبعد هذا الوضوح الذى لا مواربة فيه ، فى هذه الخطة الخمسية للبابا بغية تنصير العالم ، والقيام بجولة « لها مغزاها » كما يقول ، فى اقتفاء أثر مؤسس المسيحية كما يراها « إبراهيم وموسى وعيسى » تبدأ من مصر وسيناء إلى القدس ، فى فلسطين المحتلة ؛ وإصراره الغريب على مشاركة « اليهود وأتباع الإسلام » وقد عز على نيافته كتابة « المسلمون » مثلما كتب « اليهود » ، وكأنه لا يعتبر للمسلمين وجودًا . ألهذا الحد يصعب عليه أن يقول عنا : « الإخوة الذين عادوا

بالتوحيد إلى مصادره » ؟! ولا يسعنا إلا أن نقول لنيافة البابا : إننا كمسلمين نؤمن بعيسى ابن مريم عليه السلام نبيًا من أنبياء الله المرسلين ، كما هو وارد بالقرآن وكما قال السيد المسيح عن نفسه .

وإننا لا نعانى من عقدة الخطيئة التى تفرض الكنيسة توارثها تبريرًا لوجودها ، فالقرآن يقول لنا : ﴿ ... وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ... ﴾ [الإسراء: ١٥] . وبالتالى فلسنا بحاجة إلى من «يفدينا» أو « يخلصنا» من هذه الخطيئة . كما يحرّم علينا القرآن قبول فكرة التثليث ، وما أكثر الآيات التى تقول : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ... ﴾ [المائدة: ٧٣] و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ [الإخلاص] .

ولسنا بحاجة إلى وسيط بيننا وبين الله عز وجل ، فقد أمرنا سبحانه وتعالى أن نعبده وحده وأن نخلص له الدين ، قال تعالى :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ... ﴾ [البينة: ٥] . ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ... ﴾ [غافر: ٦٠]

وفى ختام هذا العرض الموجز لمخطط مرير ، رخيص ، مهين رغم جرأته وتنسيقه ؛ مخطط يرمى إلى فرض تنصير العالم فى احتفال عالمى مهيب ، عبارة عن قداس قربانى تمجيدًا للثالوث .

أناشد الأزهر الشريف وعلماءه وكل ما يحملونه من أمانة للدفاع عن الإسلام وحمايته ، كما أناشد المسلمين أينما كانوا ، العمل على مقاطعة هذا الاحتفال التنصيرى ، فالمشاركة ولو

بالتواجد تعنى القبول ضمنًا ، مثلما تعنى التواطؤ صمتًا فى عمليات تحريف ومغالطات الإسلام برىء منها إلى يوم الحساب .

فالمقصود من هذا التواجد هو «كسر الحاجز » الذى بين الديانات ، كما يقول البابا ، والذى يرى أن ذلك قد تم بالفعل فى الصلاة «الجماعية » التى دعى إليها من أجل « السلام العالمى » وأقيمت فى بلدة أسيز بإيطاليا فى (٢٧ /١٠/ ١٩٨٦) وحضرها مندوبون من كافة المذاهب المسيحية ، ومن كافة الديانات العالمية الأخرى ، كما تم كسر نفس الحاجز فى الصلاة « الجماعية » العالمية الثانية التى دعى إليها وأقيمت عام (١٩٩٣ م) من أجل السلام فى البوسنة !

وهنا لا يسعنا إلا أن نقول لنيافة البابا : إن السلام فى البوسنة ليس بحاجة إلى «صلاة» وإنما بحاجة إلى قرار حاسم لا تخاذل فيه لوقف المذبحة «العرقية - الدينية» الدائرة ضد الإسلام والمسلمين ، كما لا يسعنا إلا أن نتوجه لكافة المسئولين المسلمين ، أينما كانوا ، أن يكفوا عن التواطؤ فى هذه المسرحية الدائرة منذ قرابة ثلاث سنوات ، نظن أنها كانت كافية لكشف «حسن نوايا» الغرب المسيحى المتعصب . كما أنها كانت كافية لفضح تفكك المسلمين وتخاذلهم فى الدفاع عن دينهم وعن كيانهم .

ولا نجد أفضل من قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ... وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ... ﴾[البقرة: ٢١٧] .

فاتحدوا أيها المسلمون ، اتحدوا « كالبنيان المرصوص » لا فى الصلوات الاحتفالية فحسب ، وإنما فى الدفاع عن الإسلام ، الذى استباحوا عرضه ، وعن نبيّه خاتم المرسلين الذى كفروا به .


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨